﴿ السرقة الادبية ﴾

هي سرقة مصنفات الناس ورسائلهم واسفارهم وارائهم وكل ما كدوا لاجله اذهانهم وتعبت عليه قرائحهم وما كان حق ثوابه من مال وثناء ان يكون لهم كما انها سرقة قديمة قد يتصل عهدها بعهد السرقة المادية بل هي قد تعد اشد لان السرقة المادية يكون المال المكتسب منها كاجرة للذم او تخفيف للعقاب الحادث بعدها واما السرقة الادبية فجزاؤها اثنان مال وثناء وقد طالما شكا الناس منها من قديم الدهر ولكنها لا تزال موجودة كما انه لا يزال يتبعها كثيرون ممن كان ينبغي ان تسرق اقوالهم لنفاستها بدل ان يسرقوا قول سواهم

ولقد وقفنا على فصل في هذا الشأن قال فيه كاتبه ان كل المؤلفين تقريباً يسرقون وهم متفاوتون في ذلك على مقدار مهارتهم في هذا الفن حتى لقد ذكروا عن شكسبير شاعر الانكليز المشهور انه كان سراقا عظيما فقد سرق رواية له عنوانها الكيل بالكيل من رواية عنوانها بروموس وكساندرا وسرق رواية هملت الشهيرة من مصنفات رجل يدعى جورج كيد وسرق رواية روميو وجوليت المعروفة من بعض المؤلفات الايطالية كما سرق منها رواية اوتللو ولكنه كان ماهراً في السرقة فجعل الذي اضافه عليها اكثر مما اخذه منها . وقد فعل فعله القصصي الشهير ولترسكوت فسرق من المؤلفين غوت وشريدان ما شاءت مهارته ولكنه كان جوهرياً حاذقاً فكانت الصناعة له والجواهر لغيره كما يتهمون عندنا المتنبي بان المعاني كانت لغيره والصناعة الشعرية له

وممن يعدون بين امهر السارقين اسكندر دوماس الشهير فان اعظم رواياته كانت مسروقة حتى انه صدر عن قلمه في سنة واحدة اربعون مجلداً ضخماً ولكنه كان يقول ان الحاذق الكبير لا ينبغي ان يعد سارقا بل يجب يعد فاتحا ولكن هذا الرجل قد يكون معذوراً على السرقة او مدفوعا اليها لان كثيرين في ايامه كانوا يحبون الارتزاق من مصنفاتهم فكانت شهرته تغلب شهرتهم حتى لا ينالوا منها شيئا ولذلك كانوا يتفقون معه على ان تكون باسمه لتنتشر

ولقد ذكروا عن السارقين حالات كثيرة مختلفة فمنهم من كان يسرق الكتاب برمته ويدعيه له حين لا يكون احد عالما بامره وهي اقبح انواع السرقة ومنهم من كان يتصرف بالمصنفات او الاشعار حتى لا يكاد يشعر بانها مسروقة ومنهم من كان يسرق اقوال غيره برضاه كأن يقترح عليه تأليف شيء ينسب اليه ليتيه به ويزهو ومنهم من كان يوقع غيره بالسرقة عن عمد قصد جعله نبيلا شريفا كما فعل بديع الزمان الهمذاني اذ كتب عدة رسائل ونسبها الى ابيه تشريفا له ومنهم من يسرق غيره بالرضى والطوع قصد الحيلة على الرزق كما كان يفعل الخالديان فانهما كانا يتعاونان بقريحتيهما على نظم القصيدة حتى تجيء حسنة ويفدان بها على الملوك فينالان الجائزة الحسنة ولا يزال امر هذه السرقة من جهة الشعر شائعا حتى الان اذ نشاهد قصائد عديدة قديمة وقد اغار عليها بعض من لا يدرون من الشعر شيئا وذيلوها بتواقيعهم ورفعوها الى الاكابر احتيالا على نيل شيء منهم وهو اخبث مورد واقبح رزق وقد كان ابو تمام كثير الشكوى من سارقي شعره والمتاجرين به وهو في ذلك يقول

من بنو بجدل من ابن الحباب من بنو تغلب غداة الكلاب
من طفيل من عامر ومن الحارث ام من عتيبة بن شهاب
انما الضيغم الهصور ابو الاشبال مناع كل خيس وغاب
من عدت خيله على سرح شعري وهو للحين راتع في كتابي
غارة اسخنت عيون القوافي واستلحت محارم الاداب
طال رعبي يارب مما الاقيه ورهبي اليك فاحفظ ثيابي

والى ذلك ايضاً يشير البحتري في احدى قصائده عن احد الحكام المتعرضين لنظم الشعر

اجلى لصوص البلاد يطلبهم وبات لص القريض ينتهبه

ولقد كان اكثر الشعراء غارة على الشعر ابن خلوف المغربي فان له قصائد برمتها قد سرقها من البحتري ومدح بها حكام زمانه ثم اخذ يتبجح لديهم بقوله انه « قيم النظام شيخ اهل الادب » وانما فعل هذا احتيالا على الرزق لاسيما وان الذين كان يمدحهم لم يكونوا اهل ادب ولا على علم بشيء من شعر البحتري والا لفضحوه وحرموه

الا ان اهم ما يذكر عن السرقة الادبية سرقة مقالات الجرائد واخبارها فان ذلك يعد مهما جداً بالقياس الى مبلغ الجرائد وعظمها في هذا العهد وقد كان يجري من هذا شيء يذكر في انكلترا اذ كانت جرائد المساء في المقاطعات تنقل المقالات والاراء عن جرائد لندن التي تصدر في الصباح وتنسبها اليها وكانت الجرائد الاسبوعية تسرق من الطرفين الا ان كل هذا قد زال الان ولم تعد جريدة تستطيع سرقة شيء من اخرى لانه اذا لم يعاقبها قراؤها باعراضهم عاقبها القانون

اما في بلادنا فالسرقة فوضى لا نظام لها ولا قيد بل ليس فيها اقل تصرف يخفيها ولا سيما جرائد هذه البلاد الافرنجية فانها تنتظر بريد اوربا وتطالع اراء التيمس والستاندرد والديبا والطان ثم تعمد الى المقص فتقص منها ما شاءت زاعمة انه من انشائها وفكرها وليس لها من القراء محاسب ولا من اصحاب الجرائد الاولى رد اذ ليس لهم بها علم وهذا مما يستغرب صدوره عن ارباب الصحف الافرنجية الذين يجب ان يكونوا قدوة لنا في منع هذه السرقة العائبة ولكن يظهر ان الافرنج اذ قد اعدونا بكل قبيح من عاداتهم فقد صار لا بأس ان نعديهم بهذه الخلة لانها منتشرة بين بعض جرائدنا انتشاراً قبيحاً وقد طالما رأينا مقالات برمتها مأخوذة من انيس الجليس (بدون احتياج الى مقص) دون ادنى اشارة الى موردها وقد طالما طالعنا في بعض جرائد العاصمة الاسبوعية مقالات عديدة منقولة برمتها عن المقالات الافتتاحية لجريدة البصير ولكن يظهر ان صاحب الجريدة كان على شيء من الذمة فما كان يدعي ان المقالات له بل كان يقول انها وردت في احدى الجرائد المعتبرة بالاسكندرية كانه يظن انه لو ذكر البصير واشار الى اسمه صريحاً يكون بذلك قد اضر جريدته او خلع على البصير انفس خلعة وهو ما نعتبره عيباً كيف كان القصد منه ولعل كثيراً من الجرائد (المعتبرة) في العاصمة تكون مسروقة ايضاً كالبصير وهي لا تدري او تدري ولا تجد لها حيلة ولكن المأمول ان كل هذا يزول كما زال من اوروبا ليس بسبب قانون يسن لذلك بل بسبب القراء انفسهم وامتداد افهامهم وادراكهم ما في هذه السرقة من العيب فيعرضون عن تلك الجرائد حتى تعتدل وتعرض عما كانت فيه